مادة

المسجد الأقصى، المكان والمكانة

المشروع الثالث

بيت المقدس والمسجد الأقصى
الغيب والأمل

إعداد

معتز عبد الرحمن

إشراف

أ.د: نور أبو عصب أ.د: خالد العويسي

تمهيد: الإيمان بالغيب

(الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5))[1].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله (حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله وخبر رسوله، فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسله. فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه. بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم. وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله)[2].

فالإيمان بالغيب من مركزيات العقيدة الإسلامية، فأركان الإيمان الستة غيبية، وكل ما ارتبط بالغيب - المأمورون بالإيمان به - علا قدره، إذ أنه أكثر ما يميز الإيمان الحقيقي عن غيره، ولقد كان (المسجد الأقصى) خاصة و(بيت المقدس) عامة حاضرين دائما في أبواب الإيمان بالغيب ودروب الأمل في الله تعالى، وهو ما سنلقي الضوء على بعض جوانبه في هذا البحث.

1- الإيمان بالرسل

الإيمان بالأنبياء والرسل هو أحد أركان الإيمان الستة، ولا يصح إيمان مسلم إذا جحد واحدا فقط منهم، صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (152))[3].

وفي حديث جبريل – عليه السلام – الطويل (قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ – صلى الله عليه وسلم – (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ). قَالَ صَدَقْتَ[4].

ولأننا أمة خاتم الأنبياء والمرسلين، فإن الإيمان بالرسل السابقين هو إيمان بالغيب، فالمؤمن الذي عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي لم يعاصره مطالب بالإيمان بكل ما ورد عن الأنبياء السابقين من قصص ومواقف وأحداث "إيمانا غيبيا" كأنها رأي عين.

1 سورة البقرة
2 تفسير السعدي، سورة البقرة
3 سورة النساء.
4 صحيح مسلم- 102

(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44))[5]

(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (102))[6]

(تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49))[7]

فإن المسلم يستحضر تلك المشاهد كأنه يراها بيقينه فيما أوحى به رب العالمين تبارك وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد شاء رب العالمين أن تكون جل قصص الأنبياء الواردة في كتاب الله مسرحها (بيت المقدس) وتخوم (المسجد الأقصى)، فمع كل قصة لنبي من أنبياء الله الذين عاشوا هناك يري وجدان المسلم (بيت المقدس) و(الأقصى) في خلفية أحداثها، ليصبحا جزء لا يتجزأ من إيمان المسلم الغيبي برسل الله وأنبيائه وما ورد في قصصهم التي جعلها الله تعالى نهرا جاريا من الدروس والعبر ينبع أكثرها من (بيت المقدس) ويصب في قلوب المؤمنين.

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111))[8]

2- الإسراء والمعراج

إن حادثة الإسراء والمعراج حادثة مركزية أيضا في الإيمان الغيبي عند المسلمين[9]، وقد لخص الصديق أبو بكر رضي الله عنه خلاصة واجب المسلم في التعامل معها (لئن كان قال ذلك لقد صدق .. إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة)[10]، وقد ظهر (المسجد الأقصى) هنا من جديد في المشهد الإيماني الغيبي، ففي الرحلة الأرضية كان هو نقطة الوصول المستحيل بغير إعجاز إلهي، ومحل الاجتماع مع الأنبياء والرسل السابقين والذي لا يكون أيضا بغير إعجاز إلهي، ونقطة الانطلاق إلى السماوات السبع والعودة منها، فطوال الرحلة التي تتشكل في وجدان المسلم المؤمن بالغيب الموقن في قدرة الله تعالى وحكمته يبقى (الأقصى) حاضرا كجزء لا يتجزأ من إيمان المسلم الصادق.

ولا يتوقف الأمر عند هذا، فبعيدا عن المعجزة "الزمانية" في رحلة الإسراء، قد كان (بيت المقدس) و(المسجد الأقصى) أيضا غيبا "مكانيا" عند الكثير من العرب الذين لم يزوروا (بيت المقدس) من قبل، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ممن لم يزوروه قبل وبعد البعثة، بينما بعض تجار قريش قد فعلوا، وفي ظل الصدام الكبير وعلى مرأى ومسمع من مؤمني مكة وكفارها على سواء، يتحدى هؤلاء التجار النبي صلى الله عليه وسلم أن يصف لهم (بيت المقدس)، ليأتي (بيت المقدس) هذه المرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعدما ذهب هو إليه

---

5 سورة آل عمران
6 سورة يوسف
7 سورة هود
8 سورة يوسف
9 يكثر القول بأن هناك صحابة ارتدوا على إثر حادثة (الإسراء والمعراج) ولكن في صحة هذا نظر، للمزيد يرجع لتعليق الألباني في السلسلة الصحيحة وللرابط أدناه
https://ar.islamway.net/article/26289/%D9%87%D9%84-%D8%A7%D8%B1%D8%AA%D8%AF-%D8%A3%D8%AD%D8%AF-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AD%D8%A7%D8%A8%D8%A9

10 باختصار من (السلسلة الصحيحة) للألباني رحمه الله، وقال متواتر.

بنفس الصورة الإعجازية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لَمَّا كَذَّبَنِى قُرَيْشٌ قُمْتُ فِى الْحِجْرِ ، فَجَلاَ اللَّهُ لِى بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ)[11].

3- تحويل القبلة

ليس من لوازم الإيمان بالغيب التسليم بأخبار السابقين فقط، بل من أهم لوازمه التسليم العملي للأوامر والنواهي، فالمؤمن بكمال علم وحكمة ورحمة الخالق جل في علاه يسلم له في أوامره ونواهيه وإن غابت عنه الحكمة ولم يدركها عقله، ومما اختبر المؤمنون به في ذلك (تحويل القبلة)، ولم يكن الاختبار في التحويل نفسه فقط، بل كون الأمر بتحويل القبلة هو أول نسخ في القرآن، قال ابن عباس رضي الله عنهما (كَانَ أَوَّلُ مَا نُسِخَ مِنَ الْقُرْآنِ الْقِبْلَةُ)[12]، وقد كان تحويل القبلة اختبار إيمانيا كبيرا قال عنه رب العالمين (... وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143))[13]، ما هي القبلة التي كان عليها؟، (المسجد الأقصى)، لنلتقي معه مرة أخرى في خلفية اختبار عقدي غيبي جديد، لقد كان (الأقصى) هو القبلة التي تعلقت بها قلوب المسلمين من الأيام الأولى للبعثة حين فرض قيام الليل في سورة المزمل، مرورا بفرض الصلوات الخمس في ليلة الإسراء إلى (المسجد الأقصى) والمعراج منه إلى السماء، ثم لنحو ستة عشر أو سبعة عشر شهرا في المدينة[14]، وهو ما كان يسعد اليهود لا لتقديس المسلمين ما يقدسونه بحكم الاتفاق في أصول الدين قبل أن ينحرفوا هم عن أكثرها، ولكن لظنهم أن هذا متابعة من نبي المسلمين لهم وهم على حالهم الضال[15]، لقد كان (الأقصى) اختبارا إيمانيا نجح فيه المؤمنون مرتين، إذ أمروا بالتوجه إليه أول مرة فاستجابوا، وأمروا بالتحول عنه إلى (البيت الحرام) فاستجابوا، ولا يغير ذلك من حقيقة (المقدس) شيئا ولا يضعف مكانته في القلوب.

---

11 صحيح البخاري- 3886
12 الطبري، ابن كثير
13 سورة البقرة
14 البخاري-40
15 الطبري، بتصرف.

4- نبوءات الفتح والساعة

لم يعش المسجد الأقصى فقط في إيمان المسلمين الغيبي بأخبار الأولين، ولا في إيمانهم الغيبي بحكمة رب العالمين المستلزم للتسليم، ولكن كان ولا يزال حاضرا أيضا في إيمانهم بالنبوءات المستقبلية الغيبية، بدء بالفتح وانتهاء بقيام الساعة.

عن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَهْوَ فِى قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ (اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، مَوْتِى، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلاَّ دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِى الأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا)[16]

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم هنا أن بعد ألم فقدان الأمة له، سيكون فرح فتح (بيت المقدس)، فأصبح فتح (بيت المقدس) أيضا من الإيمان بالغيب الذي يجب على المسلم أن يوقن به، كما أنه أمل يأتي بعد آلام، يكفي أن يكون منها ألم فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الملفت أن قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في أقرب غزواته إلى (بيت المقدس)، غزوة (تبوك)، التي خرج إليها مناوشا محتليه وآخذا بثأر شهدائه في (مؤتة)، وقد انسحب الروم من مواجهته صلى الله عليه وسلم وحقق نصرا قريبا من الأرض المقدسة دون قتال.

ومن ذلك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن الخلافة الراشدة ستنقضي ثم تعود بعد أزمنة يفتقر المسلمون خلالها إليها، وأشار إلى أنها ستعود في (بيت المقدس) يوما ما، وهذا أيضا مما يجمع المسلم فيه بين الإيمان بالغيب تصديقا للخبر النبوي، وبين الأمل المنتظر في (بيت المقدس).

قال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (تكون النبوة فيكم ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها إذا شاء ان يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله ان يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها إذا شاء ان يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت)[17]

عن عبد الله بن حوالة (...ثمَّ وضعَ يدَهُ – صلى الله عليه وسلم - على رأسي، أو قالَ: على هامَتي، ثمَّ قالَ: يا ابنَ حوالةَ، إذا رأيتَ الخلافةَ قد نزَلَت أرضَ المقدَّسةِ فقد دنَتِ الزَّلازِلُ والبَلابلُ والأمُورُ العِظامُ، والسَّاعةُ يومَئذٍ أقرَبُ منَ النَّاسِ من يدي هذهِ من رأسِكَ)[18]

ومن الغيب والأمل معا في (بيت المقدس) قوله صلى الله عليه وسلم (لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِىُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِىٌّ خَلْفِى فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)[19]، وَالْغَرْقَد نَوْع مِنْ شَجَر الشَّوْك مَعْرُوف بِبِلَادِ بَيْت الْمَقْدِس، وَهُنَاكَ يَكُون قَتْل الدَّجَّال وَالْيَهُود[20]

---

16 البخاري-3176

17 مسند أحمد -18430

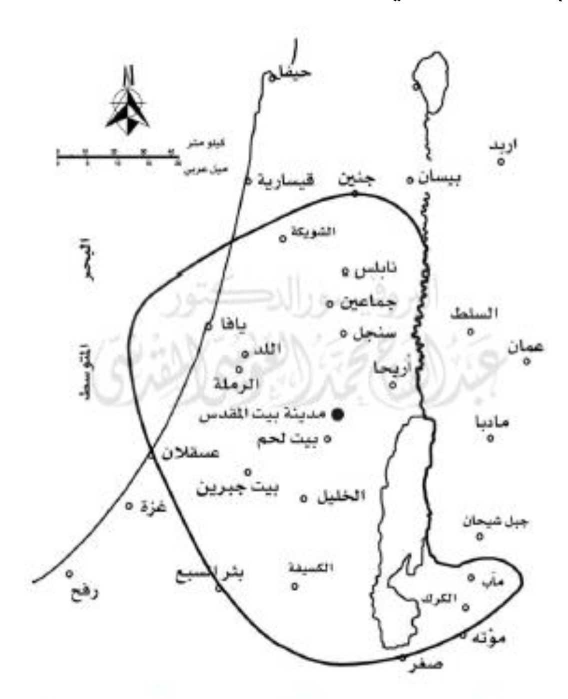
18 صحيح أبي داود -2535

19 مسلم - 7523

20 شرح النووي على مسلم

ومن الإيمان بالغيب وعلامات الساعة أيضا، الإيمان بفتنة الدجال التي لا يمر على البشرية فتنة مثلها، وبعدما يعاني منها المؤمنون خاصة أشد المعاناة، ويأذن الله بانفراجها على يد المسيح عليه السلام، يكون هذا الفرج والانكشاف أيضا في (بيت المقدس)، ليكون مسرح الإيمان بالغيب والأمل في الخلاص في آن واحد.

(فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِى حَيْثُ يَنْتَهِى طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ)[21]، واللد داخلة في حدود (بيت المقدس) كما يظهر في الشكل أدناه[22].



الدائرة الأولى: خريطة حدود الأرض المقدسة (بيت المقدس)
كما أعاد إكتشافها الدكتور/خالد العويسي

5- خاتمة

إن حضور (بيت المقدس) و(المسجد الأقصى) في العقيدة الإسلامية أوسع من أن يحصر، فهو حضور إيماني وجداني عميق، يظهر بصورة مباشرة في نصوص قداسة الأرض والمسجد، ويظهر بصور غير مباشرة وأوسع بكثير في خلفية الكثير من الأخبار العقدية والإيمانية، كما أنه غير مقتصر على أخبار الماضي، ولا على التسليم الحاضر، بل بقي جزء من مستقبل المسلمين في كل جيل، يظهر دوما كأمل من بعد استيئاس، وفرج من بعد شدة، ونحن الآن وبعد أربعة عشر قرنا من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيش في شدة، كلما تلمسنا الأمل في انفراجها من خلال أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب القادم، وجدنا (بيت المقدس) و(المسجد الأقصى) حاضرين كما كانا دائما.

---

21 مسلم-7560

22 الشكل من كتاب (نظريات ونماذج بيت المقدس) للأستاذ الدكتور عبد الفتاح العويسي